تفسير كلّ آية بجملة

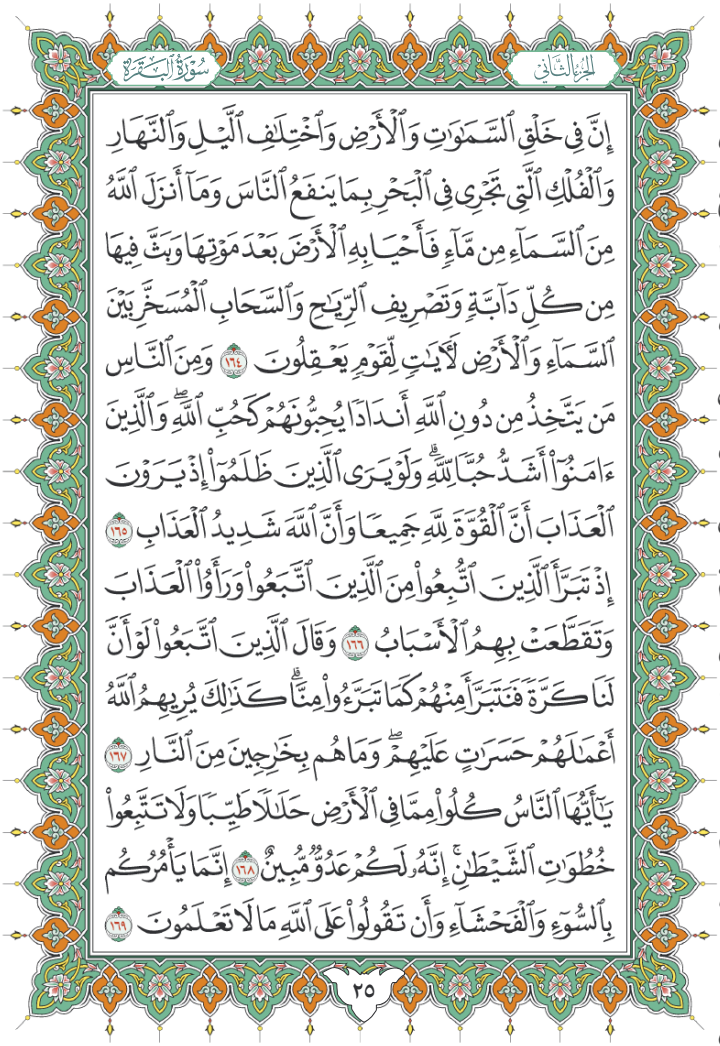

﴿١٦٤﴾ وقد أقام الله سبحانه وتعالى دلائل وآيات لكلّ ذي عقل على وجوده وألوهيّته، ومن ذلك إبداع السّماوات بما فيها من عجائب الصّنعة، تسير فيها الكواكب بانتظام دون تزاحم ولا صدام تبعث الحرارة والنّور لهذا العالم، والأرض وما فيها من البرّ والبحر، وتعاقب اللّيل والنّهار وما في ذلك من المنافع، وما يجرى في البحر من السّفن تحمل النّاس والمتاع، ولا يسيّرها إلا الله، ثمّ ينزل مطرًا من السّماء يحيي به الحيوان ويسقي الأرض والنّبات، والرياح وهبوبها في مهابّها المختلفة، والسّحاب المعلّق بين السّماء والأرض، فهل هذه الأشياء كلّها بهذا الإتقان والإحكام من تلقاء نفسها أم هي صنع العليم القدير؟ فهذه الآيات لقوم لهم عقول تعي وقلوب تشعر.

﴿١٦٥﴾ ومع هذه الدّلائل الواضحة اتّخذ بعض النّاس ممّن ضلّت عقولهم أربابًا غير الله يطيعونهم ويعبدونهم ويعظّمونهم كتعظيم الله، أمّا المؤمن فيسلّم القيادة لله وحده وطاعته لله وتعظيمه له لا ينقطعان، أمّا هم فإنّ ولاءهم لآلهتهم يتزلزل عند النّوائب فيلجؤون إلى الله سبحانه ولو أنّ هؤلاء الذين ظلموا أنفسهم عاينوا ما سينالهم من العذاب يوم الجزاء، حين ينكشف ملك الله وتكون الطّاعة له وحده، لانتهوا عن جرمهم وندموا وأقلعوا عن إثمهم.

﴿١٦٦﴾ في ذلك اليوم يرجو الأتباعُ أن ينجّيهم رؤساؤهم من الضّلال فيتنكّرون لهم ويتبرّأون منهم ويقولون: ما دعوناكم لطاعتنا في معصية ربّكم، وإنّما هو هواكم وسوء تصرّفكم، وتنقطع بينهم الصّلات والمودّات التي كانت بينهم في الدّنيا، ويصير بعضهم لبعض عدوًّا.

﴿١٦٧﴾ وهنا يتبيّن الأتباع أنّهم كانوا في ضلال حين اتّبعوا رؤساءهم في الباطل ويتمنّون أن يعودوا إلى الدّنيا فيتنكّروا لرؤسائهم كما تبرّأوا منهم في هذا اليوم، وتبدو لهم أعمالهم السيّئة فتكون حسرات عليهم ويندمون، وقد ألقي بهم في النّار فلا يبرحونها.

﴿١٦٨﴾ يا أيّها النّاس كُلوا ممّا خلق الله في الأرض من الحلال الذي لم ينزل تحريمه، المستطاب الذي تستسيغه النّفوس، ولا تسيروا وراء الشّيطان الذي يزيّن لكم أكل الحرام أو تحريم الحلال، فقد علّمتم عداوة الشّيطان، وبان قبيح ما يأمركم به.

﴿١٦٩﴾ وإنّما يزيّن لكم الشّيطان ما هو سيّئ في ذاته، ويضرّكم في عافيتكم وما يقبح فعله، وتسيرون بسببه وراء الظّنون والأوهام، فتنسبون إلى الله من التّحريم والتّحليل ما لم يأت دليل عليه من العلم اليقين.

الآيات من 163-164

الدّليل على وحدانيّة الله ورحمته ومظاهر قدرته

﴿وَإِلَـٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَـٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾.

أسباب النزول والمناسبة

سبب النزول: قَالَ عَطَاءٌ: "نَزَلَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ بِالْمَدِينَةِ ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَـٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾، فَقَالَ كُفَّارُ قُرَيْشٍ بِمَكَّةَ: كَيْفَ يَسَعُ النَّاسَ إِلَهٌ وَاحِدٌ؟ فَأَنْزَلَ اللهُ تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ إِلَى قَوْلِهِ ﴿لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[1]"، وَبِهَذَا تَعْلَمُونَ أَنَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ، وَإِلَهُ كُلِّ شَيْءٍ، وَخَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ[2].

وعَنْ أَبِي الضُّحَى، قَالَ: "لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَـٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾، نَقَمَ الْمُشْرِكُونَ، وَقَالُوا: إِلَهُهُ وَاحِدٌ إِنْ كَانَ صَادِقًا، فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ، فَأَنْزَلَ اللهُ تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ إِلَى قَوْلِهِ ﴿لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾"[3].

وجه المناسبة أو الرّبط بين الآيات: بعد أن ذكر الله في الآية السّابقة حال الكافرين الجاحدين لآيات الله، وحال من كتم الآيات، وعاقبهم بالطّرد من رحمة الله والخلود في نار جهنّم، أتى ببيان سبب الكفر وهو الشّرك، وأراد تعالى أن يعالج داء كفرهم بإثبات وحدانيّة الله بالبرهان، وتعداد مظاهر رحمته وأدلّة قدرته، وأنّ الخير في اللّجوء إليه وحده، فقال: وإلهكم المستحقّ للعبادة بحقّ هو الله الذي ليس في الوجود سواه، والذي وسعت رحمته كلّ شيء، بيده النّفع والخير، وهو القادر على دفع الضرّ والشرّ، فلا تشركوا به شيئًا، سواء شرك الألوهيّة: بأن يعتقد المرء أنّ في الخلق من يشارك الله أو يعينه في أفعاله، وشرك الرّبوبيّة: بأن يسند الخلق والتّدبير إلى غيره معه، أو تؤخذ أحكام الشّرائع من عبادة وحلال وحرام من غيره، كما قال تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ﴾[4].

فقوله تعالى: ﴿لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ تقرير للوحدانيّة بنفي غيره وإثباته تعالى، وإنّما خصّ الله تعالى الوحدانيّة والرّحمة بالذّكر دون غيرهما من الصّفات، لتذكير الكافرين الكاتمين للحقّ بأن لا ملجأ أمامهم غير الله لاتّقاء عذابه، ولترغيبهم بالتّوبة وعدم اليأس من فضله.

ثمّ أورد الله تعالى أدلّة وحدانيّته وقدرته ورحمته في هذا الكون بالذّات، فأبان أنّه خالق السّموات وما فيها من عوالم وأفلاك من غير عمد من تحتها ولا علائق من فوقها، بديعة الجمال، دقيقة النّظام، كلّ ما فيها يجري لأجل مسمّى في مداره، محكمة التّناسب فيما بينها عن طريق ما يسمّى بالجاذبيّة، نجومها وقمرها للإنارة وتقدير حساب الشّهور، وشمسها للإضاءة وإمداد الحيوان والنّبات بالحرارة، قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا

(١) سورة البقرة، الآية: ١٦٤.
(٢) رواه الشيخ الأصبهانيّ في العظمة، عن عطاء، حديث رقم: ١١٦، باب: ذكر آيات ربّنا تبارك وتعالى، وعظمته وسؤدده.
(٣) سورة البقرة، الآية: ١٦٤، والحديث رواه الشيخ الأصبهانيّ في العظمة، عن أبي الضحى، حديث رقم: ٣١، باب: الأمر بالتفكّر في آيات الله تعالى.
(٤) سورة التوبة، الآية: ٣١.

﴿وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (١)، ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (٢).

وخالق الأرض الذي جعلها وسطًا صالحًا للعيش الهادئ المطمئنّ، وملأها بالكنوز والمنافع المختلفة، وسخّرها لخير الإنسان، وأوجد فيها الجماد والمعادن والأنهار والحيوان والنّبات، وجعل لكلّ مخلوق غاية وحكمة، ولم يخلق ما فيها عبثًا، ويسّر لكلّ شيء فيها وسائل الحياة والرّزق والدّوام والبقاء مدّة العيش قال تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ﴾(٣). فكلٌّ مِن خلقِ السّموات والأرضين عدا ما فيه من عظمة وقدرة وبهاء، مظهر من مظاهر الرّحمة الإلهيّة بالنّاس جميعًا.

ومن أجل إتمام النّعمة وإسباغ الرّحمة على الإنسان، وتيسير سبل العيش الكريم والرّاحة والسّكينة، أوجد الله تعالى تعاقب اللّيل والنّهار وخالف بينهما في الفصول الأربعة بسبب خطوط الطّول والعرض، بالطّول والقصر، والحرارة والبرودة، وبحسب اختلاف الأقطار والبلدان، كما جاء في آيات كثيرة منها: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾(٤) وقوله ﷻ: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا﴾(٥).

ويسّر الله للإنسان سبيل الارتحال ونقل البضائع والتّجارات والمواد الثّقيلة بين البلدان عن طريق السّفن الشّراعية والبخاريّة والذّريّة التي تحمل مئات الألوف من الأطنان، وتؤدّي دورًا حاسمًا في السّلم وفي الحرب. ودلالتها على الوحدانيّة يظهر عند دراسة صناعتها وحمولتها وتصميمها، مثل معرفة طبيعة الماء وقانون ثقل الأجسام وطبيعة الهواء والبخار والكهرباء، ولا يدرك ذلك إلا العلماء المتخصّصون الذين يكتشفون هذه الطّاقات ويسخّرونها لخدمة الإنسان، وهي من خلق الله الذي أبدع النّظام وشملت قدرته كلّ شيء، كما قال سبحانه: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ* إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾(٦).

وقد عبّر القرآن عن منافع البحر بإيجاز في قوله تعالى: ﴿بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ﴾ أي في أسفارهم وتجاراتهم وتنقّلاتهم لأغراض مختلفة من قطر لآخر، فيتداولون المنتجات والصّناعات وموادّ الغذاء وأصناف اللّباس والدّواء وغير ذلك.

وأنزل الله المطر من السّماء لإحياء الأرض بعد موتها، ولينعم به الإنسان والحيوان، فالماء مصدر الحياة، كما قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾(٧). وقال: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾(٨) فإنزال المطر رحمة وفضل إلهي.

وأمّا مصدر المطر فهو من تصاعد بخار ماء بواسطة حرارة الهواء فوق البحار، ثمّ تتكاثف الذّرات المائيّة وتتكوّن سحبًا، ثمّ يسقط الماء من خلالها، بفعل تسيير الرّياح، وكلّ ذلك يتمّ بإرادة الله ﷻ ومشيئته، كما قال ﷻ: ﴿اللهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾(٩) وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾(١٠).

---

(١) سورة يونس، الآية: ٥.
(٢) سورة الأنعام، الآية: ٩٧.
(٣) سورة الذاريات، الآية: ٢٠.
(٤) سورة الفرقان، الآية: ٦٢.
(٥) سورة الإسراء، الآية: ١٢.
(٦) سورة الشورى، الآيتان: ٣٢ – ٣٣.
(٧) سورة الأنبياء، الآية: ٣٠.
(٨) سورة الحجّ، الآية: ٥.
(٩) سورة الروم، الآية: ٤٨.
(١٠) سورة الأعراف، الآية: ٥٧.

ومن أدلّة قدرة الله ووحدانيّته: توجيه الرّياح وتصريفها على حسب الإرادة والمشيئة والنّظام الحكيم، تهبّ من مختلف الجهات الأربع، ولأغراض مختلفة، كتلقيح النّبات والأشجار، كما قال تعالى: ﴿وأرسلنا الرياح لواقح﴾، وقال تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾[1] وقد تكون عقيمًا، وقد تكون للعذاب: ﴿قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ* تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾[2].

ومن مظاهر القدرة الإلهيّة تكاثف السّحاب،الغيم وتجمّعه في الجوّ، ثمّ تذليله وتفريقه لإنزال المطر في شتّى البقاع، على وفق نظام معيّن، وحكمة بالغة، وتقدير عجيب. فكلّ هذه الظّواهر عبر ومواعظ لمن يعقل ويتدبّر وينظر، ليدرك الأسرار والعجائب، ويستدلّ بما فيها من إتقان وإحكام على قدرة الخالق المبدع، ووحدانيّة الإله المدبّر، ورحمة الله التي وسعت كلّ شيء، وذلك من كمال الحكمة واكتمال الكون الدّال على وجود الله، وأنّه إله واحد، وإله كلّ شيء، وخالق كلّ شيء، وهذه الآية شبيهة بآية: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ* الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾[3] وقوله: ﴿رَبَّنَا﴾ مدح للمؤمنين الذين يتفكّرون ويتّعظون.

وجاء في فضل هذه الآية عن النّبيّ ﷺ قال: «﴿لَقَدْ نَزَلَتْ عَلَيَّ اللَّيْلَةَ آيَةٌ وَيْلٌ لِمَنْ قَرَأَهَا وَلَمْ يَتَفَكَّرْ فِيهَا: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾»[4].

وقد ذمّ الله تعالى من لا يعتبر بمخلوقاته الدّالة على ذاته وصفاته وشرعه وقدرته، فقال: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ* وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾[5].

المعنى العام

يخبر الله تعالى عن تفرّده بالإلوهيّة، وأنّه لا شريك له ولا عديل، بل هو الله الواحد الأحد الفرد الصّمد، الذي لا إله إلّا هو الرّحمن الرّحيم.

عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ، أَنَّ النّبيّ ﷺ قَالَ: «﴿اسْمُ اللهِ الْأَعْظَمُ فِي هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾[6] وَفَاتِحَةِ آلِ عِمْرَانَ ﴿الم* اللهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾»[7].

يقول تعالى: ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ وإلهكم يا معشر العباد الذي يستحقّ أن يُعبد إله واحد لا شريك له ولا نظير، ولا ضدّ له ولا ندّ، لا إله إلّا هو، إذ لا يستحقّ العبادة غيره، ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ فهو الرّحمن بنعمة الإيجاد الرّحيم بنعمة الإمداد، فكلّ ما سواه مكوّن مخلوق، إمّا نِعمَة وإمّا مُنْعَم عليه، فلا يستحقّ العبادة غيره. ثمّ ذكر الدّليل والبرهان على وجوده وألوهيّته، وثبوت وحدانيّته بثمانية أمور، كلّ واحدة فيها من تجليّات اسم الله

(١) سورة الحجر، الآية: ٢٢. (٢) سورة الأحقاف، الآية: ٢٤-٢٥. (٣) سورة آل عمران، الآيتان: ١٩٠ - ١٩١.
(٤) رواه ابن حبّان في صحيحه، عن عائشة، حديث رقم: ٦٢٠، كتاب: الرقاق، باب: ذكر البيان بأنّ المرء عليه إذا تخلّى لزوم البكاء، الحديث إسناده صحيح.
(٥) سورة يوسف، الآيتان: ١٠٥ - ١٠٦. (٦) سورة البقرة، الآية: ١٦٣.
(٧) سورة آل عمران، الآية: ١-٢، والحديث رواه التّرمذيّ في سننه، عن أسماء بنت يزيد، حديث رقم: ٣٤٧٨، كتاب: أبواب الدعوات، باب: باب، الحديث حسن صحيح.

تعالى الرّحمن أي من جلائل النّعم ومن تجلّيات اسم الله تعالى الرّحيم أي من دقائق النّعم. فقال: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ إنّ في خلق السّماوات طباقًا متفاصلة مرفوعة بغير عمد، وما اشتملت عليه من الكواكب والبروج والمنازل، وفي الأرض وما اشتملت عليه من الجبال والبحار والأنهار والأشجار وأنواع الثّمار، ﴿وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ بالطّول والقصر، أو تعاقبهما بالذّهاب والمجيء، ﴿وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ﴾ بقدرته في تسخير البحر بحمل السّفن مع إمكان رسوبها إلى الأسفل، متلبّسة ﴿بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ﴾ لمعايش النّاس من التّجارة وغيرها. ﴿وَمَا أَنزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾، ﴿وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ﴾ على اختلاف أشكالها وألوانها ومنافعها، وصغرها وكبرها، وهو يعلم ذلك كلّه ويرزقه، ﴿وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ﴾ فتارة تأتي بالرّحمة، وتارة تأتي بالعذاب، وتارة تأتي مبشّرة بين يدي السّحاب، وتارة تسوقه، وتارة تأتي تجمعه، وتارة تفرّقه، وتارة تصرفه، ﴿وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ﴾ أي سائر بين السّماء والأرض، مسخّر إلى ما يشاء الله من الأراضي كما يصرفه تعالى، ﴿لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ دلالات بيّنة على وحدانيّة الله تعالى.

لطائف الإشارات للسّلوك والتّزكية في الآيات

ما يستخلص من الآيات

في العقيدة

من هدي الآيات:

١. لا إله إلّا الله فلا تصحّ العبادة لغير الله تعالى، لأنّه لا معبود بحقّ إلّا هو.

٢. لا ضارّ ولا نافع إلّا الله. لا معطي ولا مانع إلّا الله. لا مؤثّر على الحقيقة إلّا الله ولا حول ولا قوّة إلّا بالله.

٣. شَرَّفهم غايةَ التّشريف بقوله ﴿وَإِلَـٰهُكُمْ﴾، فقال أهل الذّوق: علامةُ من يَعُدُّه من خاص الخواصّ أن يقول له: عبدي، وذلك أتمُّ من هذا بكثير لأنّ قوله ﴿وَإِلَـٰهُكُمْ﴾ وإضافة نَعْتِهِ أتمُّ من إضافته إيّاك إلى نفسه لأنّ إلهيّته لَكَ بلا عِلّة، وكونُك له عبد يُعوِّض كلّ نقصك وآفتك.

٤. ﴿الْوَاحِدُ﴾ من لا مِثْلَ له يدانيه، ولا شكل يلاقيه. لا قسيم يجانسه ولا نديم يؤانسه. لا شريكَ يعاضده ولا مُعِين يساعده ولا منازعَ يعانده.

٥. وقوله ﴿الرَّحْمَـٰنُ الرَّحِيمِ﴾ أي المولي لجميع النّعم أصولها وفروعها، ولا شيء سواه بهذه الصّفة، فإنّ كلّ ما سواه إمّا نعمة وإمّا مُنعَم عليه.

٦. إنّ الآيات الكونيّة في السّماوات والأرض تثبت وجود الله تعالى ربًّا وإلهًا حكيمًا عظيمًا موصوفًا بكلّ كمال، منزّهًا عن كلّ نقصان.

٧. الآيات الكونيّة القرآنيّة تظهر تجلّي أسماء الله الحسنى مثل البديع والخالق والبارئ والمصوّر.... وتحديدًا الرّحمن، فكلّها جلائل نعم لا غنى للإنسان عنها، وفيها دقائق نعم، تجعل حياة الإنسان أجمل وأيسر.

٨. الانتفاع والاهتداء بالآيات مطلقًا - آيات الكتاب أو آيات الكون- خاصّ بمن يستعملون عقولهم دون أهوائهم.

من أسماء الله الحسنى: (الواحد)

شرح اسم الله الواحد:

الواحد هو المنفرد في ذاته، وصفاته، وأفعاله، لا يشبهه شيء، ولا يشبه شيئًا، لا شريك له، ولا نظير. واحد في ذاته فلا موجود معه ولا إله غيره. قال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[1]. وقال تعالى: ﴿مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[2].

قال ابن كثير رحمه الله: لَوْ قُدِّرَ تَعَدُّدُ الْآلِهَةِ لَانْفَرَدَ كُلٌّ منهم بما خلق فَمَا كَانَ يَنْتَظِمُ الْوُجُودُ، كما لا ينتظمُ أمر بلدٍ فيه ملِكان قاهران. وَالْمُشَاهَدُ أَنَّ الْوُجُودَ مُنْتَظِمٌ مُتَّسِقٌ كُلُّ مِنَ الْعَالَمِ الْعُلْوِيِّ وَالسُّفْلِيِّ مُرْتَبِطٌ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ فِي غَايَةِ الْكَمَالِ ﴿مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ﴾[3] ثمّ لَكَانَ كُلٌّ مِنْهُمْ يَطْلُبُ قَهْرَ الْآخَرِ وَخِلَافَهُ، ﴿وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ فَيَعْلُو بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ. وَالْمُتَكَلِّمُونَ ذَكَرُوا هَذَا الْمَعْنَى، وَعَبَّرُوا عَنْهُ بِدَلِيلِ التَّمَانُعِ، وَهُوَ أَنَّهُ لَوْ فُرِضَ صَانِعَانِ فَصَاعِدًا فَأَرَادَ وَاحِدٌ تحريك جسم والآخر أراد سُكُونَهُ، فَإِنْ لَمْ يَحْصُلْ مُرَادُ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا كَانَا عَاجِزَيْنِ، وَالْوَاجِبُ لَا يَكُونُ عَاجِزًا وَيَمْتَنِعُ اجْتِمَاعُ مُرَادَيْهِمَا لِلتَّضَادِّ، وَمَا جَاءَ هَذَا الْمُحَالُ إِلَّا مِنْ فَرْضِ التَّعَدُّدِ، فَيَكُونُ مُحَالًا فَأَمَّا إِنْ حَصَلَ مُرَادُ أَحَدِهِمَا دُونَ الْآخَرِ، كَانَ الْغَالِبُ هُوَ الْوَاجِبُ وَالْآخِرُ الْمَغْلُوبُ مُمْكِنًا، لِأَنَّهُ لَا يَلِيقُ بِصِفَةِ الْوَاجِبِ أَنْ يَكُونَ مقهورًا[4].

والله واحدٌ في صفاته، فلا موصوف بصفة على الحقيقة إلا الله ، قيل: من شهد الخلق لا فعل لهم فقد فاز، ومن شهد الخلق لا حياة لهم فقد حاز، ومن شهد الخلق لا وجود لهم فقد وصل.

والله واحد في أفعاله، فلا مؤثّر على الحقيقة إلّا الله، ولا ضارّ ولا نافع ولا معطي ولا مانع إلّا الله.

والفِعْلُ والتأثِيرُ لَيسَ إلا ... للواحِدِ القَهَّارِ جَلَّ وعَلا
ومَنْ يقُلْ بالطَّبعِ أو بالعِلَّهْ ... فَذاكَ كُفْرٌ عِنْدَ أَهْلِ المِلَّهْ
ومَنْ يَقُلْ بالقُوَّةِ المُودَعَةِ ... فَذاكَ بِدْعِيٌّ فلا تَلْتَفِتِ

فإذا قال الإنسان: إنّ هذه الأشياء تفعل بطبعها أو أنّها علّة بذاتها فهو كفر مخرج من الملّة، وكذلك من قَالَ: إنّ العباد يفعلون الأفعال بقوّة أودعها الله فيهم، فالنّار مثلًا تحرق لأنّ الله أودع فيها الإحراق، وجعل الإحراق من خصائصها، فهذا الكلام بدعيّ، فالذي خلق الإحراق فيها هو الله. فلا تأثير للنّار في الإحراق، ولا للطّعام في الشّبع، ولا للماء في الريّ، ولا في إنبات الزّرع، ولا للكواكب في إنضاج الفواكه وغيرها، ولا للأفلاك في شيء من الأشياء، ولا للسّكّين في القطع، ولا لشيء في دفع حرّ أو برد وغير ذلك، لا بالطّبع ولا بالعلّة ولا بقوّة أودعها الله فيها، بل التأثير في ذلك كلّه لله تعالى وحده بمحض اختياره عند وجود هذه الأشياء، وهو ما يسمّى اقتران الأسباب.

وفي معنى القيّوم، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى، قَالَ: قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه: "بَيْنَمَا أَنَا أَطُوفُ بِالْبَيْتِ إِذْ بِرَجُلٍ مُتَعَلِّقٍ بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ وَهُوَ يَقُولُ: يَا مَنْ لَا يَشْغَلُهُ سَمْعٌ عَنْ سَمْعٍ يَا مَنْ لَا يُغَلِّطُهُ السَّائِلُونَ يَا مَنْ لَا يَتَبَرَّمُ بِإِلْحَاحِ الْمُلِحِّينَ أَذِقْنِي بَرْدَ عَفْوِكَ وَحَلَاوَةَ رَحْمَتِكَ، قَالَ: قُلْتُ: دُعَاؤُكَ هَذَا عَافَاكَ اللهُ؟ قَالَ لِي: وَقَدْ سَمِعْتَهُ؟ قُلْتُ: نَعَمْ قَالَ: فَادْعُ بِهِ فِي دُبُرِ

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٢٢. (٢) سورة المؤمنون، الآية: ٩١. (٣) سورة الملك، الآية: ٣.
(٤) ذكره ابن كثير في تفسيره، باب: سورة المؤمنون، الآيتان: ٩١ - ٩٢، ج٥، ص٤٢٧

كُلِّ صَلَاةٍ فَوَالَّذِي نَفْسُ الْخَضِرِ بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ عَلَيْكَ مِنَ الذُّنُوبِ عَدَدَ نُجُومِ السَّمَاءِ وَحَصَى الْأَرْضِ لَغَفَرَ اللهُ تعالى لَكَ أَسْرَعَ مِنْ طَرْفَةِ عَيْنٍ" [1] فالله لا يشغله شأن عن شأن.

التّعلّق باسم الله الواحد:

- التجاؤك إليه في أن يفرد وجهتك إليه، فتنقطع بكليّتك إليه، وتستند في كلّ أمورك إلى وحدانيّته.
- واحدٌ في عزّ سنائه فَردٌ في جلال بهائه، وِتْرٌ في جبروت كبريائه، قديم في سلطان عِزّه، مجيد في جمال ملكوته. وكلّ مَنْ أطنب في وصفه أصبح منسوبًا إلى العمى. فلولا أنّه الرّحمن الرّحيم لتلاشى العبدُ إذا تعرَّض لعرفانه عند أوّل ساطعٍ من بادياتِ عزّه.

حثّ القرآن على استخدام مسلكي الإدراك الحسّيّ القاطع والاستنتاج العقليّ القاطع في آيات كثيرة، من مسالك اليقين:

فمنها ما يدفع الحواس الظّاهرة والباطنة إلى إدراك الحقائق المعروضة في الكون. ومنها ما يهزّ العقل هزّاتٍ عنيفة للبحث والتّفكير، والنّظر والاعتبار، والمناقشة والفهم.

فمن ذلك الآيات التي تدعو الإنسان إلى النّظر في السّموات والأرض، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاء مِن مَّاء فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.

في الأمر والنّهي

في الأخلاق والآداب

التّخلّق باسم الله الرّحمن

- أن يصبح همّك الأمّة فيكون نفعك متعدّيًا غيرك فتسعى بالخير للجميع، وتنظر إلى الخلق كافّة بعين الرّحمة، فتقضي حوائجَ العِبادِ، وَتُحسِنَ إليهم، سواء أحبّوك أم لم يُحبّوك، شكروكَ أم شكروا غيرَك، وتُطعم الطعام وتُساعد على نوائب الدّهر المسلم وغير المسلم، فالله تعالى يرزقُ المؤمنينَ والكفّار على حدٍّ سواء، ويُعطيهم في الدّنيا مِن واسِعِ فضلِهِ مهما كان لونُ بشرتِهم ودينُهم ومُعْتَقَدُهُم، وسَواء أكانوا أشرارًا أم أخيارًا، لأنّ النّبيّ ﷺ قال: «خَيْرُ النَّاسِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ» [1].
- ترحم عباد الله الغافلين وتسعى في نشر الهداية والدّين والطّمأنينة والسّكينة والسّلام بين النّاس أجمعين، فإذا رأيت عاصيًا دعوت الله لهُ من قلبك أن يغفر له وأن يتوب عليه، وإذا رأيت مُبتليًا أشفقت عليه وسألت الله تعالى له

(١) رواه ابن أبي الدنيا في هواتف الجنان، عن محمّد بن يحيى، حديث رقم: ٦٢، باب: هواتف الدعاء.

الهداية وأن يُطهّر الله قلبه من هذا البلاء. فعن رسول الله ﷺ قال: ﴿شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي﴾[٢].

- صلة الرّحم وحقّ الجار فتَصِلُ مَن قَطَعَكَ، وتعفو عَمَّن ظَلَمَكَ، وتُحسنُ إلى مَن أساءَ إليك.
- تربية الأولاد بشدّة ولين، بذلٍ وعزّ.

التّخلّق باسم الله الرّحيم

- أن تسعى جهدَك في قضاء حوائجِ النّاسِ وكلّ ذي روحٍ من غير سؤالهم ومن غير أن يطلبوا مِنك لأنّك أنت من يشعر بهم؛ فَأَحَبُّ العِبادِ إلى الله أنفعُهُم لِعِبادِ الله تعالى.
- واعلم أنّك عندما تقضي حاجة إنسان، تذكر أنّه هو بحاجة وأنت لست بحاجة، فتقضي حاجته شُكرًا لله الذي لم يحوجك إلى ما أحوجهُ إليه.
- الشّعور بألم المتألّم، والرّحمة على الجائع، والعطف على العاصي ولو كان خصمًا لك، لأنّك تشعر بأنّه يهوي في مهاوي الضّلال، ومآله إلى الوبال فتنصحه وتعظه. ولقد وصف الله ﷻ النّبيّ ﷺ وصفًا عجيبًا بالرّحيم، فقال ﷻ: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[٣]. فالشّعور بالآخرين وراثة من رسول الله ﷺ، وكلّما تخلّقنا بأخلاق النّبيّ الأكرم ﷺ كلّما أحبّنا الله أكثر، فالنّبيّ ﷺ يشعر بك لأنّه من نفسك، ولأنّ روحك من روحه.
- وروي عن رسول الله ﷺ في معنى الرّحمة حديث فيه الكثير من مَعاني الإعجاز العلميّ والنّفسيّ، ﴿مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى﴾[٤]. ولو طبّق المسلمون هذا الحديث، لعاشوا أجمل معاني الحياة.
- كما علّمنا النّبيّ ﷺ أن نرحم الخادمَ، ففي الحديث: ﴿إِنَّ إِخْوَانَكُمْ خَوَلُكُمْ جَعَلَهُمُ اللهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ، فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلا تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ فَأَعِينُوهُمْ﴾[٥].
- وروي أَنَّ رَجُلًا أَتَى رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ لِي خَادِمًا يُسِيءُ وَيَظْلِمُ أَفَأَضْرِبُهُ، قَالَ: ﴿تَعْفُو عَنْهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعِينَ مَرَّةً﴾[٦].

الحكمة: كيف يشرق قلب صور الأكوان منطبعة في مرآته، أم كيف يرحل إلى الله وهو مكبّل بشهواته، أم كيف يطمح أن يدخل حضرة الله، وهو لم يتطهّر من جنابة غفلاته، أم كيف يرجو أن يفهم دقائق الأسرار وهو لم يتب من هفواته.

الحكمة: "شعاع البصيرة يشهدك قربك منه، وعين البصيرة يشهدك عدمك لوجوده، وحقّ البصيرة يشهدك وجوده، لا عدمك ولا وجودك".

(١) رواه القضاعيّ في مسنده، عن جابر، حديث رقم: ١٢٣٤، مسند: خير الناس أنفعهم للناس، الحديث حسن.
(٢) رواه الحاكم في المستدرك، عن أنس، حديث رقم: ٢٢٨، كتاب: الإيمان، باب: وأما حديث سمرة بن جندب، الحديث صحيح.
(٣) سورة التوبة، الآية: ١٢٨.
(٤) رواه مسلم في صحيحه، عن النعمان بن بشير، حديث رقم: ٢٥٨٦،كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم.
(٥) رواه البخاريّ في صحيحه، عن أبي ذر، حديث رقم: ٢٥٤٥، كتاب: العتق، باب: قول النّبيّ ﷺ:" العبيد إخوانكم فأطعموهم".
(٦) رواه أحمد في مسنده، عن عبد الله بن عمر بن الخطاب، حديث رقم: ٥٦٣٥، مسند: المكثرين من الصحابة، مسند: عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، الحديث إسناده صحيح.

في السّيرة والشّمائل

قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ خَلَقَ الرَّحْمَةَ يَوْمَ خَلَقَهَا مِائَةَ رَحْمَةٍ، فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعًا وَتِسْعِينَ رَحْمَةً، وَأَرْسَلَ فِي خَلْقِهِ كُلِّهِمْ رَحْمَةً وَاحِدَةً، فَلَوْ يَعْلَمُ الكَافِرُ بِكُلِّ الَّذِي عِنْدَ اللهِ مِنَ الرَّحْمَةِ لم ييأس مِنَ الجَنَّةِ، وَلَوْ يَعْلَمُ المُؤْمِنُ بِكُلِّ الَّذِي عِنْدَ اللهِ مِنَ العَذَابِ لَمْ يَأْمَنْ مِنَ النَّارِ»[٤].

والمقصود من الحديث طلب التوسّط بين الخوف والرجاء. فلو تحقّق للمُكلّف مَا عِنْد الله من الرَّحْمَة لما قطع رَجَاءَهُ أصلًا، وَلَو تحقّق مَا عِنْده من الْعَذَاب لما ترك الْخَوْف أصلًا، فَيَنْبَغِي أَن يكون بَين الْخَوْف والرجاء فَلَا يكون مفرطًا فِي الرَّجَاء ولا في الخوف.

في السّلوك

الإشارة: قال الجُنَيْد: التوحيد معنى تضْمَحِلّ فيه الرّسوم وتندرج فيه العلوم، ويكونُ الله كما لم يزل.

تَعَرَّف إلى قلوب الطّالبين من أصحاب الاستدلال وأرباب العقول بدلالات قدرته، وأمارات وجوده، وسمات ربوبيّته التي هي أقسام أفعاله. ونبّههم على وجود الحكمة ودلالات الوحدانيّة بما أثبت فيها من براهينَ تلطّف عن العبارة، ووجوهٍ من الدّلالات تَدِقُّ عن الإشارة، فما من عينٍ من العدم محصولة - من شخصٍ أو طلل، أو رسم أو أثر، أو سماء أو فضاء، أو هواء أو ماءٍ، أو شمسٍ أو قمر، أو قَطْرٍ أو مطر، أو رَمل أو حجرٍ، أو نجم أو شجرٍ- إلا وهو على الوحدانيّة دليل، ولِمَنْ يقصد وجوده سبيل.

في الإعجاز العلميّ

ظاهرة اختلاف اللّيل والنهار:

لقد وردت عبارة ﴿اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ في آيات من القرآن الكريم:

١. ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ... لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[٢].

٢. ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾[٣].

٣. ﴿إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾[٤].

٤. ﴿وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[٥].

ومن البديهيّ لكلّ متدبّر أنّ الكلمة إذا تكرّرت مرات عديدة في الآيات القرآنيّة، فإنّ في ذلك تنبيهًا لما عليه من أبعاد كامنة في اختلاف اللّيل والنّهار خلقًا وإيجادًا، وحدوثهما وتعاقبهما بمجيء كلّ منهما خلفة للآخر، وفي طولهما وقصرهما

---

(١) رواه البخاريّ في صحيحه، عن أبي هريرة ، حديث رقم: ٦٤٦٩، كتاب: الرقاق، باب: الرجاء مع الخوف.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٦٤. (٣) سورة آل عمران، الآية: ١٩٠. (٤) سورة يونس، الآية: ٦.

(٥) سورة المؤمنون، الآية: ٨٠.

بحسب اختلاف مواقع الأرض من الشّمس وما لهما من نظام دقيق، بحسب حركة الشّمس اليوميّة والسّنويّة، وفي طبيعة كلّ منهما وما يصلح فيه من نوم وسكون، وعمل دنيويّ وديني، وهو المؤثّر في تعاقبهما لا الشّمس.

اهتزاز تربة الأرض:

من آيات الإعجاز: قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[1] وقوله: ﴿وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾[2].

كما قال: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾[3]

حقائق علميّة:

جميع أنواع التّربة لها مسام يدخل الماء من خلالها وتختلف هذه المسام باختلاف نوع الأرض.

وعند امتلاء الأرض بالماء، تتحرك جزيئات التّربة بقوّة دفع الماء في المسام وبالتّالي ينمو النّبات ويزداد طوله.

وجه الإعجاز:

وجه الإعجاز في الآيات الكريمة، هو ربطها بين نزول الماء مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ، وبين حركة الأرض واهتزازها، وخروج النّبات والزّرع بِسَبَبِهِ، وهذا ما كشفت عنه الدّراسات التي أقيمت على أنواع التّربة.

في أشراط السّاعة

في الأدعية والأذكار

«مَنْ تَعَارَّ مِنَ اللَّيْلِ، فَقَالَ: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، الحَمْدُ للهِ، وَسُبْحَانَ اللهِ، وَلا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، أَوْ دَعَا، اسْتُجِيبَ لَهُ، فَإِنْ تَوَضَّأَ وَصَلَّى قُبِلَتْ صَلاتُهُ»[4].

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٢. (٢) سورة البقرة، الآية: ١٦٤. (٣) سورة الحجّ، الآية: ٥.

(٤) رواه البخاريّ في صحيحه، عن عبادة بن الصامت، حديث رقم: ١١٥٤، كتاب: التهجد، باب: فضل من تعارّ من اللّيل فصلّى.